خُيِّرَ فاختار ﷺ

أيها القارئ الكريم:

روى البخاريُّ أنَّ عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يقولُ وهو صحيح: « **لَنْ يُقْبَضَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ** » **فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: « اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى » قُلْتُ: إِذًا لا يَخْتَارُنَا، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ. قَالَتْ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا « اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى »** [1]

خُيِّر فاختار ﷺ، اختار ما عند ربه.

وهذا التخيير قد فهمه أبو بكر رضي الله عنه عندما خطب رسولُ الله ﷺ وقال: « **إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ** » فبكى أبوبكر؛ لأنه فهم أنَّ العبدَ المرادَ هو النبيُّ ﷺ، وفي الحديث « **فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا** » [2]

فقال رسول الله ﷺ: « **إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ** » [3]

أمانة أديت، ورسالة بُلِّغت.. لاقى في سبيلها ما لاقى ﷺ وكابد الشدائد - وهو ثابت

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

على الحق صابرٌ محتسب، واثقٌ في تأييد الله ونصره وإعلاء كلمته.

ولما أذن الله له في لقائه - رأى مقعده من الجنة ثم خُيِّر فاختار.

روى البخاريُّ عن أنس ﷺ قال: « لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ. فَقَالَ لَهَا: لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ. فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ. فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلام -: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ ؟ » [1]

إنما الدنيا. لم تُجعل داراً لأحدٍ يُقيم فيها ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [2]

لكنَّ الدنيا ذاتُ شأن وخطر بما يترتب عليها من أثر.

إنما دارُ ابتلاء واختبار. دارُ غرس للأعمال. وهناك تُوَفَّى الأعمال وتُجْنَى الثمار.

وَمَهْمَا يَكُنْ فَاللهُ لَيْسَ بِزَائِلٍ وَيَجْنِي الْفَتَى مِنْ بَعْدُ مَا هُوَ غَارِسُ

فالعاقل هو الذي يدرك خطرها، فلا يضيع لحظات المرور بها في لهو عابث، أو عمل ساقط، العاقل هو الذي يدرك النتائج ويعرف العواقب. لا الذي يستعمل فطنته وحيلته في باطل ذاهب. قال بعض السلف الصالح: ((ترى الرجل لبيباً داهياً فطناً ولا عقل له، فالعاقل من أطاع الله ﷻ)).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الأنبياء : ٣٤، ٣٥.

روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: « **بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلاَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ، فَتَبَسَّمَ يَضْحَكُ، وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عَلَى عَقِبَيْهِ؛ لِيَصِلَ لَهُ الصَّفَّ، فَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ الْخُرُوجَ، وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاتِهِمْ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَتِمُّوا صَلاتَكُمْ، فَأَرْخَى السِّتْرَ وَتُوُفِّيَ مِنْ آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ** » [1]

إنه السرور بهم، والرضى عن موقفهم، صفوفاً بين يدي ربهم ﴿ **رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا** ﴾ [2] لهذا يُسَرُّ رسول الله ﷺ يُسَرُّ بطاعتهم، واستقامة صفوفهم ولقائهم مع الله.

إن ذاك هو سرُّ الفوز والنجاة، وهو أفضل ما في هذه الحياة.

إن الدنيا التي يُرى فيها الإنسان لا يمكن أن تكون بغير سلوك المؤمنين بالله واليوم الآخر.

إن التعلق بالآخرة والتمسك بسعيها ليس معناه البعد عما أحل الله من الطيبات. وليس معناه أن نترك الدنيا لأهل الفساد يعيثون فيها، بل معناه الإصلاح وأن يكون الإنسان أغلى شئ في هذه الحياة، ولن يكون غالياً إلا باحترام حقوقه وكرامته.

إن التعلق بالآخرة واختيارَها هو السبيل الوحيد لتحقيق الخير والأمن والسلام للناس في الدنيا. وكذب أولئك الذين ينشدون أمْن الدنيا وسلامتها بغير التعلق بنعيم الآخرة وجزائها.

كذبوا؛ لأن الرضى بالدنيا والاطمئنان إليها وجَعْلَها غايةً يقيم فيها صِراعاً ضارياً تتحول معه الحياة إلى غابةٍ يكون الحيوانُ فيها أفْضَلَ حالاً من الإنسان.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الفتح : من الآية ٢٩.

و لم نر حضارة برَّت بالإنسان ونعم فيها بالأمن والطمأنينة إلاَّ الحضارةَ التي قامت على أيدي هؤلاء الأطهار الذين أرادوا الآخرة وسَعَوْا لها سعيها.

أخي المسلم:

في صحيح البخاري أن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رسولُ الله ﷺ وهو صحيحٌ يقول: « **لَنْ يُقْبَضَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ** » **فَلَمَّا نَزَلَ به وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: « اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى » قُلْتُ: إِذًا لا يَخْتَارُنَا، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ. قَالَتْ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا « اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى »** [1]

ما أطيب الآخرة لمن آمن وعمل صالحاً ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ۝١٠٨** ﴾ [2]

إن الناس لو رأوا ما أعدَّه الله للمتقين من عباده، لما تَعلقت نفوسهم لحظة واحدة بلهو المتاع.

✿✿✿

عن أنس ﷺ قال: « كنا مع أبي موسى في مسير له، فسمع الناس يتكلمون، فسمع فصاحة وبلاغة، قال: فقال: يا أنس ! هلُمَّ فلنذكر الله ساعة، فإن هؤلاء يكاد أحدهم أن يغري الأديم بلسانه، ثم قال: يا أنس ! ما ثبط الناس عن

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الكهف : ١٠٧، ١٠٨.

الآخرة ؟ ما ثبطهم عنها ؟ قال: قلت: الدنيا والشهوات، قال: لا، ولكن غُيبت الآخرة وعُجِّلت الدنيا، ولو عاينوا ما عدلوا بينهما ولا ميَّلوا » [1]

✿✿✿

أخي المسلم:

تدبَّر كتاب ربِّك، واعلم أن الحضارة التي تقوم بدافع منه هي الحضارة التي يُرى فيها الإنسان بقيمه وفضائله، ونحن المسلمين مطالبون بأن نعصم أمرنا بهذا الكتاب، وأن نلتقي عليه ولا نفترق؛ حتى نستطيع أن نقدم للإنسانية أعظم ما ترجوه لغدها من تعارف وتعاون ورحمة.

إن السَّلْمَ الذي تنشده الإنسانية يرتبط بصفات النفس، والأمن الذي ترجوه يرتكن إلى القيم والأخلاق.

إن العدل والحق والبر والصدق والرحمة صفات لا بُدَّ منها لتحقيق الأمن الصادق والسلام البار.

إن العالم اليوم – وقد أفْلست جميعُ المذاهب أن تحقق طمأنينة يومه وأمان غده العالم كله يلتمس سبيلاً للتعاون، وينشد مذهباً يكون العالم أمام عدله وبرِّه سواءً، لا يفرق بين جنس وجنس ولون ولون، كما لا يفرق في عدله بين عدو وصديق أو قريب وبعيد، في حاجة إلى مذهب يحترم قيمة الإنسان ويقدر كرامته. يبدد ظلام الخوف، ويقيم دعائم الثقة، مذهبٍ يقيم العدل في ذات الإنسان أولاً بين فضائل روحه ومطالب جسده؛ ليتحقق العدل في خارج النفس بدافع من إيمان ويقين.

والمسلمون – بحمد الله – هم وحدهم الذين يملكون أغلى وأكرم وأعظم شئ في حياة الإنسان. يملكون أن يقولوا كلمة الحق التي ائتمنوا عليها، وأن يصدقوا

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

بسلوكهم فيما يقولون ويملكون؛ ليسخروا جميع وسائلهم في خدمة هذا الدين وأن يتبعوا كتاب ربهم وأن يتخلقوا به كما تخلق نبيهم ﷺ وعندئذ سيدرك العالم ما قدرهم ويحفظ صنيعهم ويجدون من الله العون في حياتهم والفوز برضوانه بعد مماتهم.

جمع أبو موسى الأشعري رضي الله عنه الذين قرءوا القرآن، فإذا هم قريب من ثلاث مئة، فعظم القرآن وقال: إن هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن، ولا يَتْبَعَنَّكم القرآن؛ فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن تَبِعه القرآن زج في قفاه فقدمه في النار.

✿✿✿

اللهم وفقنا لصدق تدبره، واتباع هداه ومقاصده، ووفِّق المسلمين جميعاً للاعتصام بحبل الله موحدين لا متفرقين.. إنك نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير.

وصلى الله وسلم وبارك على مَن كان خُلُقُهُ القُرآن، وعلى آله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

✿✿✿

obeikandl.com